وزارة الثّقافة
الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب
مديريّة منشورات الطّفل

مكتبة الطفولة

١٠٠
تموز ٢٠٢٣م

رُبَّ ضارّةٍ نافعة

قصة: نغم حامد
رسوم: قحطان الطلاع

رئيسُ مجلس الإدارة
وزيرةُ الثقافة
الدكتورة لبانة مشوّح

الإشراف العامّ
المـدير العــامُّ للهيئـة
العامّة السّوريّة للكتاب
د. نايف الياسين

رئيس التحرير
مدير منشورات الطفل
قحطان بيرقدار

الإخراج الفنّي
هيثم الشيخ علي

الإشراف الطباعيّ
أنس الحسن

مكتبة الطفولة

سلسلة قصصيّة موجّهة إلى الأطفال

رُبَّ ضارّةٍ نافعة

قصة: نغم حامد
رسوم: قحطان الطلاع

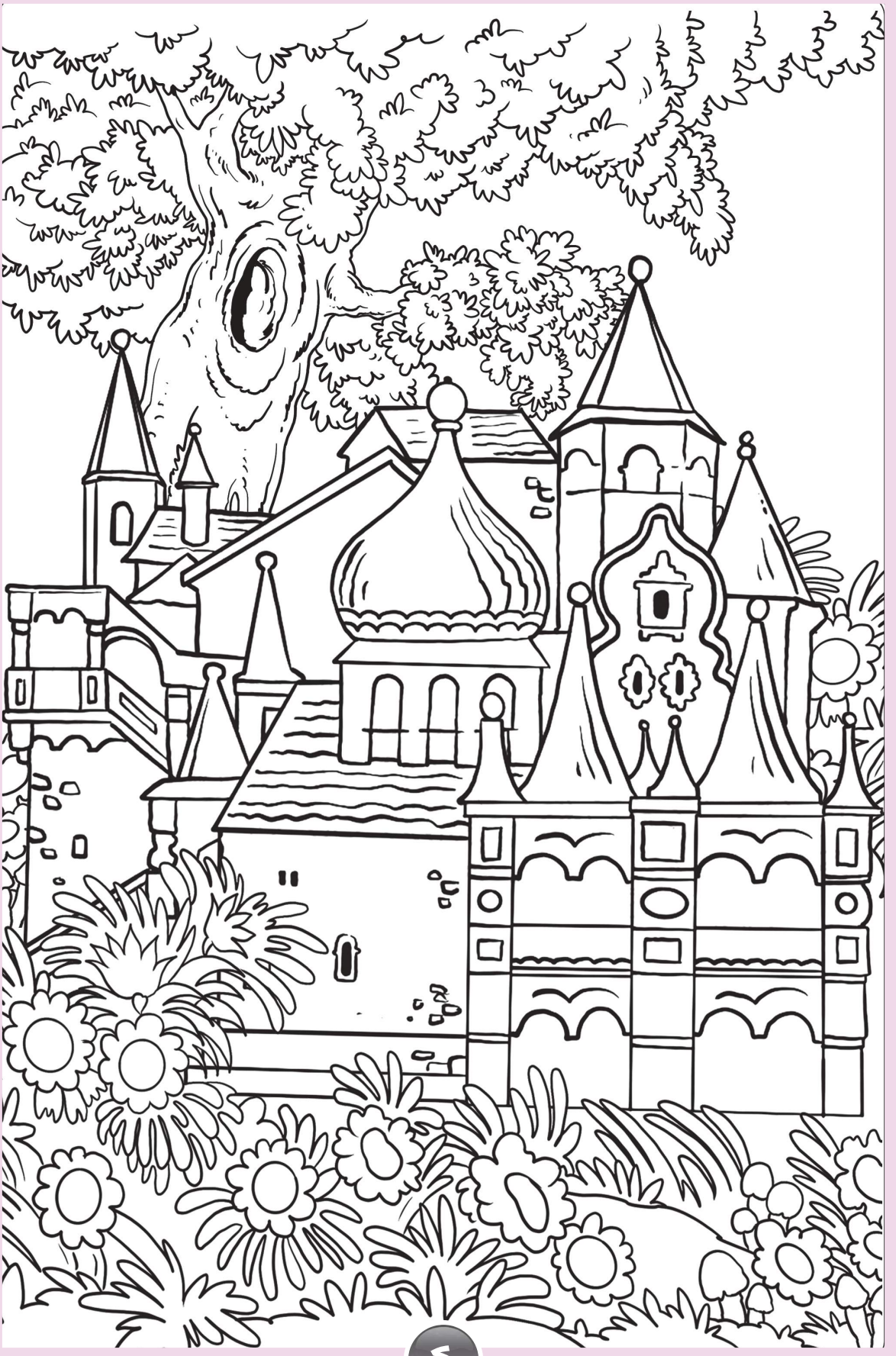

كانـت هناك مملكـةٌ كبيرة تمتدُّ على أراضٍ شاسـعة، لا يزالُ الناسُ يُردّدونَ من أسـمائها: شـيراز وتبريز وخراسـان، وكانت هـذه المملكـةُ ذاتَ تناسُـق عجيـب، بـدءاً بأرضهـا المرصوفة بالحجارة البِيض والسُّـود كرقعة الشطرنج، وصولاً إلى البيوت الحجريـة التي تعلُوها سـقوفُ القرميد الـمُلوّنـة، وكان حاكـمُ المملكة رجُلاً عادلاً.

هُـنـاكَ، ذاعَ صيتُ خبّازَين نشـيطَين، يقـعُ مخبزاهما في أول الـمُرتفَـع الـمُؤدّي إلـى القصـر، يأتيهما الناسُ لشـراء الـخُبز، وإذا زادَ لديهمـا شـيءٌ أرسـلَ الملـكُ فـي شـرائه، كي يشـتريَ الناسُ الخبزَ الطـازج يوميّاً، وينال الخبَّازان رزقاً وافراً يجعلُهما حريصَينِ على جودة ما يُنتِـجان.

كانَ للخبّازَيـن، العـمّ جميل والعـمّ نـزار، طبعانِ مُـختلفان، فالعـمُّ جميل ذو وجه بشـوش وضّاء، وهو مُـحـبٌّ للخير، أمّا نزار فلا يُوحي بالارتياح، وتضيقُ عينُـهُ على ما في يدِ غيره، ولو ملـكَ الدنيـا كلَّها، ومـعَ أنّ إنتاجيهما من الخبز يـكادانِ يكونانِ إنتاجاً واحداً، لكنَّ القلوبَ كانت تتسابقُ إلى مخبز العـمِّ جميل، حتّـى بدا على نزار الغيظُ، وكلّما سـألَـهُ العـمُّ جميل عن سـبب تغيُّر حاله أجاب: لا شيء، شقاوةُ الصِّبيان، وكثرةُ الطلبات.

فكّـرَ نزار في كيفيّة جَذْبِ الناس إليه، ثم خطرتْ له فكرة، إذ قرّرَ أن يأخُذَ خميرةَ الخبز التي يستعملُها العـمُّ جميل، ويضع مكانَـهـا خميرةً فاسـدة، وكـي يتمكّـنَ مـن ذلك، بدأ يُسـابِـقُ خُيوطَ الفجر الأولى إلى مخبزه، ثـمّ يُسارعُ إلى طلبِ مُساعدةِ العـمِّ جميل بعدَ وصوله بقليل، ليُبعدَهُ عن مخبزه، ثـمّ يستغلّ تلك اللحظات ليُنفِّـذَ خطّتَـهُ دونَ أن يلفتَ الانتباه.

فـي الـمرّة الأولى تعجّبَ العـمُّ جميل من عدم جودة الخبز، وتجـاوزَ الأمـرَ سـريعاً، وهو يقـولُ: لعلّـي أخطأتُ في شـيء مـا. ثـمّ اعتـذرَ إلى الـمُشـترين، لكنَّ الأمرَ اسـتمرَّ من دون أن يتبادرَ إلى ذهنِه أنَّ جارَهُ وراءَ ذلك، ويوماً بعد يوم كَـثُـرَ تذمُّـرُ النـاس، فوصلَ الأمرُ إلى الملك الذي سـارعَ إلـى إنذار العـمِّ جميـل، فإمّا أن يُـحسِّـنَ رغيفَ الخبز، وإمّـا أن يَـكُفَّ يدَهُ عن صناعته، ويرحل، وأمهلَـهُ أسبوعاً، ولـمّـا لم يتغيّرْ شيءٌ رحلَ العـمُّ جميل حزيناً، وكلماتُ الناس تُلاحقُه: سـامـحَـكَ الله! تضرُّ نفسَك، وتضرُّنا بسبب عنادك وطمعك. فاغرورقت عيناهُ بالدموع، ومضى دونَ أن ينبسَ بحرف.

ثلاثـة أيـام، والعـمُّ الطيّبُ يسـيرُ مكسـورَ القلب إلـى البلاد

الـمُجـاورة، ولـمّـا لاحتْ أبوابُـها جلسَ ليسـتريحَ تحتَ ظلِّ شجرة، وغطَّ في النوم.

بعدَ سـاعاتٍ عدّة، اسـتيقظَ، وقد غربت الشـمسُ، وظهرت النجومُ، فأخذَ يتأمّـلُها، وبينما هو كذلك ناداهُ صوتٌ غريب:

- هيييه! أنت!

فَـزِعَ العـمُّ جميل، وتلفّتَ يمنةً ويسرةً، لكنّـهُ لم يجدْ أحداً.

- هيييه! هُـنا يساراً، في الأسفل.

نظرَ، فلم يجدْ إلّا زهرةً أرجوانيّةً تُوشِكُ أن تذبل.

- اسقِني بعضَ الماء، واعْـتَـنِ بي قليلاً!

- نعم، ولكنْ لم أرَ أزهاراً تُشبـهُـكِ في هذا المكان!

- هـذه قصّةٌ طويلة. لقـد تعرّضَ اللصـوصُ للعـمِّ صالح، وسـلَـبُوهُ الكيسَ الذي كنتُ فيه، وفي أثناء شِجارهم سقطتُ، وبقيتُ هنا.

حزنَ العـمُّ جميل لِـمَـا سَـمِـعَ، ثـمّ قالت الزهرةُ: أخبرْني بقصّتِك!

تزاحمَت الدموعُ في عينيه، ثـمّ قال: كنتُ خبّازاً في مملكة...

وروى قصّتَـهُ، والزهرةُ تُصغي، فلـمّـا فَـرَغَ ابتسمَتْ، وقالتْ له:

لا بأسَ عليك. لا تحزنْ!

قالَ العـمُّ جميل: كيفَ، وقد ظُـلِـمْتُ، وطُـرِدْتُ؟!

قالت الزهرةُ: ساعِـدْني، وسأُساعدُكَ أيضاً.

تساءلَ العـمُّ جميل: وكيفَ ذلك؟

تبسّمت الزهرةُ، وقالت: سأُخبِـرُك.

أخذَ العـمُّ الطيّبُ المـاءَ الـمُتبقّـي لديه، وسـقى به الزهرةَ، وهو يُـخاطبُ نفسَـه: لماذا أصغي إليها؟ لكنّـهُ لم يَـجِدْ جواباً إلّا ما وهـبَـهُ إيّاهُ قلبُـهُ من شعور بالطُّمأنينة نحوَها.

- شُـكراً لأنّـكَ أنقذْتَني. اجلس الآن! سأخبرُكَ بما تفعلُه، وأنت تتناولُ طعامَك، فأنتَ لم تأكُلْ شيئاً بعد.

جلسَ العـمُّ جميل يأكلُ، والزهرةُ تتحدّث:

لقـد قطعَ الـمُـزارِعُ الذي كنتُ معه مسـافاتٍ طويلةً لأجلي، بعدَ أنْ سـمعَ بما تُـحقِّـقُهُ زراعتي من أرباح كبيرة، وتيقّـنَ بأنَّ التُّربةَ لديه صالحةٌ لذلك. لم أكُـنْ حينَـها زهرةً، بل كنتُ بصلةً صغيـرة، ولـمّـا تعرَّضَ لـه اللصوصُ حزنتُ كثيـراً، ولم أكنْ أستطيعُ أن أفعلَ شيئاً، حتى جئتَ أنت.

لـم يفهـم الـخبّـازُ مـا قالتْـهُ الزهـرةُ، ومـع ذلك اسـتمرَّ في الإصغاء، فتابعتْ:

عليكَ أن تذهبَ خلفَ تلك التِّلال، وتبحثَ في حقولها عن مُزارع يُدعى العمَّ صالحاً، ثمَّ تُخبرهُ بقصّتكَ، وسيُساعدُك.

مضى الخبّازُ نحوَ التِّلال، وسألَ عن العمِّ صالح، فأرشدَهُ الفلّاحُونَ إلى منزله وحقله، ولمّا وصلَ رآهُ يعملُ بجدّ، فحيّاهُ، وقصَّ عليه حكايتَه، ولم يكَدْ يَفْرَغُ، حتّى أشرقَ وجهُ المُزارع، وقالَ له: سأساعدُكَ، لكنْ دُلّني على زعفرانة لأعتنيَ بها.

تعجّبَ العمُّ جميل، وسأل: مَنْ؟!

أجابَ المُزارع: زعفرانة زهرةٌ جميلةٌ تَهَبُ الثراءَ لمَنْ يملكُها ويرعاها، لكنّها لا تنبتُ في أيِّ مكان، فظروفُ زراعتها صعبة، ولمّا عرفتُ أنّ أرضي صالحةٌ لها جلبتُها، لكنْ تعرَّضَ لي اللصوصُ، فعُدتُ إلى أرضي أزرعُها بما تيسّرَ، ريثما تصلُني بصلاتُ الزعفران الجديدة، وبعدَ زراعتها ستستفيدُ أنتَ منها.

- وكيفَ أستفيدُ منها؟

- اذهبْ، وابحثْ عن مخبز جديد، وابدأ العملَ فيه، وستعرفُ لاحقاً، أمّا أنا فسأذهبُ إلى زعفرانة.

تردّدَ العـمُّ جميل في الرحيل، فهو لم يفهـمْ حتى اللحظة ما يُـخطِّطُ له صالح الـمُزارع، لكنَّ صالحاً طمأنَـهُ، وأكّـدَ لـهُ أنّ الأمورَ تسـيرُ إلى مـا فيه الخيرُ للجميع، حينئذٍ مضى قاطعـاً أسـوارَ المدينة، وبعـد يومَينِ وجدَ متجراً مُـناسـباً، وبسُرعةٍ أحـبَّ الناسُ العـمَّ جميلاً لبشاشتِه وجمالِ رُوحه.

مضـى عامٌ كامـل، والعـمُّ جميل يعملُ فـي المدينة، ثـمّ أقبلَ العـمُّ صالح على عربة خشبيّة يجرُّها حصانان قويّان، مُـعبّئـة بأكياس مُـتوسّـطة الحجـم، ولـمّـا لـمحَـهُ العـمُّ جميـل جرى إلـى مُلاقاته، وهـو يقول: أهلاً وسـهلاً بك. ظننتُـكَ نسيتَنا.

ضحـكَ العـمُّ صالح، وقال: بل كنـتُ كلَّ الوقت أفكّـرُ فيك. وعدتُـكَ بأنْ أساعدَكَ، وقد أتيتُ الآن، ولديّ لكَ ما يزيدُ الرِّزقَ بينَ يديك، ويُذِيعُ صيتَـكَ في البلاد كلّها.

- شوّقـتَـني! هاتِ ما لديك!

فتـحَ العـمُّ صالح الأكياسَ أمامَ العـمِّ جميل، فرأى فيها شُـعَيراتٍ حُـمْراً داكنـة، بعضُها يميلُ إلـى البرتقالـيّ، ثـمّ قال: لقد تأخّرتُ عليك كلَّ هذه الـمُدّة لآتيكَ بهذه.

- ما هذه؟ وماذا أفعلُ بها؟

- هـذه الشُّـعيراتُ هـي مياســمُ زعفرانـة بعـدَ القِطـاف. يُـمكنُــكَ إضافتـهـا إلى الـخُبـز، فتَـهَـبُــهُ لوناً ذهبيّـاً وطعماً لذيـذاً، لذلك لـمّـا جنيتُـهـا جميعها جئتُـكَ ببعضها. يكفي أن تُضيفَ ثلاثاً منها كلَّ يوم، وانظرْ إلى النتيجة.

- وكم ثـمنُـها؟

- ثمينةٌ جـدّاً، لكنَّ هذه الأكياسَ هديّـةٌ منّـي ومن زعفرانة لـمُساعدتِكَ إيّاها.

في اليوم التالي، بدأ العـمُّ جميل بإضافة الشُّعيرات إلى عجينه، وبدأتْ أرغفةُ الخبز الذهبيّة تتصدّرُ واجهةَ مخبزه، ودعا الناسَ إلى تذوُّقـها مـجّـاناً، فأُعجِبَ كثيرٌ منهم بمذاقها، وأقبلُوا على طلبها، وشـيئاً فشـيئاً بدأ صيتُ الخبز الفريـد من نوعه يذيعُ في البـلاد، بـل إنّـهُ بلـغَ بلادَ العـمِّ جميـل التي رحـلَ عنها، حتّـى طلبَ ملكُها تذوُّقَـهُ، ولـمّـا كانَ لـهُ ذلك، وأُعجِبَ بمذاقِه، أمرَ بدعوة خبّازه لـمُكافأته ومعرفة سـرِّ خُبزه، وكم كانتْ دهشـتُـهُ كبيرةً لـمّـا رأى العـمَّ جميلاً يقفُ أمامَـه!

انحنـى العـمُّ جميل بكُلِّ تواضُع مُـبتسـماً، وبعـدَ أن أذِنَ لـهُ

الملكُ بالجلوس، سألَـه: أخبِـرْنا بسرِّ خُبزِكَ اللذيذ؟

أخبـرَ العـمُّ جميل الملكَ بأمر زعفرانة وسـرِّها العجيب، فأمـرَ الملـكُ بـأن يُـخبَـزَ خُبـزُ مملكتِـه بإضافةِ هـذه النبتة، وضاعَـفَ الأرزاقَ ليتيسَّـــرَ للـخبّازيـنَ شـراؤُها، وللنـاسِ التَّنعُّـمُ بمذاقها، وهكذا سـرى حُـكـمُ الملك على الجميع، ومنهم الـخبّازُ نزار، حتى أصبحُوا يتسـابقُونَ للحصول على النـوع الأفضل من زعفرانة، ذاكَ الـذي يتمتّعُ باللون الأحمر الداكـن. اسـتطاعَ بعضُهـم الوصولَ إليـه، وبعضُهم لـم ينتهِ إلّا إلـى النَّوع الـمائل إلـى الصُّفرة، غيرَ أنّ أحداً لم يسـتطع الحصـولَ على النـوع الأفضل بثمن زهيد مثـل العـمّ جميل الذي اسـتمرَّ فـي شـرائِـه من العـــمِّ صالح بسـعر لا يحظى به أحـد، لذلك، على الرغم من اسـتمرار الملـك العادل في الـمُسـاواة بينَ الخبّازينَ، فإنَّ العـمَّ جميلاً كانَ يحظى برزقٍ أكثرَ منهم جميعاً.

لـم يعـرفْ أحدٌ ما فعلَـــهُ الخبّاز نزار للعـــمِّ جميل، ولكنْ «رُبَّ ضـارّةٍ نافعـة»، جلبَتْ للعـمِّ جميل رِزْقـاً كثيراً لم يكُنْ في الـحسبان.

من إصدارات الهيئة العامّة السوريّة للكتاب

حزيران ٢٠٢٣

www.syrbook.gov.sy
E-mail:syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦
مطابع الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب - ٢٠٢٣م
سعر النسخة: ٥٠٠ ل.س أو ما يعادلها